محمد إينجه بيرقدار رائد الإصلاحات العثمانية في الموصل (١٨٣٤-١٨٤٣)

م.د. لمى عبد العزيز مصطفى
قسم التاريخ
كلية الآداب / جامعة الموصل

تاريخ تسليم البحث: ٢٠١٢/٩/٢٧ ؛ تاريخ قبول النشر: ٢٠١٢/١٢/١٣

ملخص البحث:

لا نجانب الحقيقة اذا قلنا ان معظم الدراسات التي تناولت تاريخ العراق في العهد العثماني قد تركزت على دراسة الأحوال السياسية بصورة عامة ، تاركة فراغاً كبيراً في دراسة التاريخ المحلي لمدنه وأحوالها الخاصة خلال عهد السيطرة العثمانية.

وقد ظهرت العديد من الدراسات التاريخية عن بعض الولايات العثمانية الرئيسية ومنها ولاية الموصل ، ولكن ما زال هناك مجال واسع خصب ينتظر جهود الباحثين للكشف عن بعض الجوانب من تاريخ هذه المدينة ، ومنها الفترة التي وقع اختيار الباحثة عليها (١٨٣٤ -١٨٤٣) والتي شكلت حقبة مهمة من تاريخ هذه المدينة من خلال الجهود التي اضطلع بها الوالي محمد إينجه بيرقدار في توطيده للحكم العثماني المركزي في الموصل بعد القضاء على الإمارة الجليلية التي استقلت بحكم هذه الولاية للفترة (١٧٢٦ -١٨٣٤) وعدد من الإمارات الكردية (السورانية والبهدينانية).

وبعد إتمامه لهذه المهمة، انشغل البيرقدار وطوال فترة ولايته على الموصل بتنفيذ برنامجه الإصلاحي فإليه يعود الفضل في وضع اللبنات الأولى للسياسة الإصلاحية في العراق والتي سيتم التطرق اليها في ثنايا هذا البحث.

Mohammad Inga, the Pioneer of the Ottoman Reforms in Mosul (1834-1843)

Lect. Dr. Luma Abdulaziz Mustafa
Department of History
College of Arts / Mosul University

Abstract:

We do not support, if we say that most studies which tackled the Iraqi history in the Ottoman's era concentrating on studying the political circumstances generally. Those studies left a big gap in studying the local

history of the cities and the special states during the Ottoman's control. Many historical studies tackling the main Ottoman states, as the state of Mosul, have appeared. But there is a wide fertile place waiting for the researches efforts to discover the historical sides of this city specially the period of (1834-1843) which was chosen by the researches herself which formed an important era of the city's history through Mohammad Inga Bayraqdar governor in setting the Ottoman central government in Mosul after exterminating Al-Jalalileen's emirate which governed this state in (1726-1824) and some Kurdish emirates (Surany and Bahdinany). After finishing hid job , the Bayraqdar spent his rule in Mosul in implementing his reformative program. He put the first bases of Ottoman reforms policy in Iraq which will be shown in the study.

المقدمة:

تعد فترة الحكم المحلي (الأسرة الجليلية) [١] للموصل والتي امتدت للفترة (١٧٢٦ -١٨٣٤) إحدى الفترات الخصبة في التاريخ السياسي الحديث لولاية الموصل إبان فترة السيطرة العثمانية، وأمام حاجة الدولة العثمانية لهذه القوة المحلية. فقد قدمت لها اعترافاً رسمياً لحكمها خاصة بعد وقوف هذه الأسرة في وجه الأطماع الفارسية في العراق[٢] كما أنها استطاعت أن تستقطب ولاء طبقات المجتمع الموصلي من التجار والأسر الإقطاعية فضلاً عن فئات العامة[٣]. وبالتالي فشلت محاولات الباب العالي المستمرة لاختيار ولاة للولاية من غير هذه الأسرة، إذ كانت تلك المحاولات تواجه بالتفاف الزعامات الشعبية والعسكرية حول الأسرة الجليلية بما لا يترك مجالاً للقضاء عليها[٤].

إلا أن شعبية هذه الأسرة سرعان ما بدأت بالتراجع وتحديداً في عهد يحيى باشا الجليلي الذي تولى حكم هذه الولاية للمرة الأولى (١٨٢٢ -١٨٢٧)، عندما فشل في معالجة الأزمات الاقتصادية التي عصفت بالمدينة والتي كان أخرها المجاعة التي اجتاحتها عام ١٨٢٥، والتي كانت سبباً في اندلاع ثورة علنية ضد الوالي الذي قرر ترك المدينة والتوجه نحو بغداد وأمام تدهور الأوضاع الأمنية والذي ترافق مع تعرض سراي الحكومة للنهب[٥]. استغل الباب العالي هذه الفوضى كذريعة لنقل يحيى باشا إلى ديار بكر [٦].

اما شؤون الولاية فقد تولاها عبد الرحمن الجليلي (١٨٢٧ -١٨٢٨) والذي لم يطل به المقام في الولاية اذ سرعان ما نشبت ثورة عنيفة في المدينة تزعمها قاسم العمري وعدد من أعيان المدينة ، كان الهدف منها إبعاد الأسرة الجليلية عن حكم الولاية وقد أدت هذه الثورة الى اغتيال عبد الرحمن الجليلي وتخداه (نائبه) [٧] .

وبعد قتل والي الموصل استطاع الثوار أحكام السيطرة على زمام السلطة السياسية في ولاية الموصل[٨] وقرروا ان يعلموا والي بغداد داؤد باشا (١٨١٧ -١٨٣١) بما حدث طالبين منه

الموافقة على إبعاد الجليليين عن الحكم ، ولما كان الأخير يراعي في بقاء الجليليين الضعفاء على الموصل كاستمرار لنفوذه عليها فانه التزم جانب الأسرة الجليلية ، لذلك اقترح على الباب العالي تعيين محمد أمين باشا الجليلي والياً على الموصل ، اذ صدر الفرمان السلطاني عام ١٨٢٩ بتوجيه ولاية الموصل اليه[٩] . وقد كانت باكورة أعماله التنكيل بزعماء الثورة إذ اصدر أوامره باعتقالهم ونفيهم الى تلعفر ، لكنهم استطاعوا إعداد قوة ضاربة من أبناء تلعفر انضم اليهم (٤٠٠) فارس من عشيرة البوحمد ، اذ اقتحم المهاجمون الموصل ، وجرى قتال عنيف في شوارع المدينة بينهم وبين الوالي استمر حوالي (٢١) يوماً تمكن الثوار في نهايتها من السيطرة على المدينة وإناطة أمورها بقاسم العمري كما شرعوا بملاحقة أتباع الباشا المهزوم الذي اضطر الى مغادرة الموصل والذهاب الى بغداد - حيث داؤد باشا والي بغداد - وأعلن الثوار ترشيح قاسم العمري والياً على الموصل . ومحمد سعيد آل ياسين[١٠] مساعداً له ذلك الترشيح الذي نال موافقة الباب العالي وذلك عام ١٨٣٠[١١] . إلا ان العمري سرعان ما أوكل إدارة شؤون ولاية الموصل الى محمد سعيد آل ياسين بسبب التحاق العمري بالحملة العسكرية التي وجهها السلطان محمود الثاني (١٨٠٨-١٨٣٩) للقضاء على المماليك والتي أسندت قيادتها الى علي رضا باشا (اللاز)[١٢] اما عن طبيعة أوضاع الموصل إبان هذه الفترة فتشير المصادر الى ضعف إداري وحكومي لمستلم الموصل الجديد وعجزه عن اتخاذ أي دور تجاه التهديدات الخارجية وتحديداً عندما تعرضت الموصل لخطر التوسع الراوندوزي عام ١٨٣٢[١٣].

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى تعرضت الموصل إلى تحدٍ آخر والذي تمثل بتقدم والي الموصل السابق يحيى باشا الجليلي نحو المدينة وبالتعاون مع الشيخ صفوك شيخ مشايخ شمر اذ استطاع أن يتولى مقاليد الحكم فيها وبدأ يتطلع إلى تخليص العراق من الوجود العثماني والقضاء على سلطة علي رضا اللاز في بغداد[١٤]. وأمام هذه التحديات الجديدة لم يكن أمام الباب العالي إلا أن يعترف بـ (يحيى باشا) والياً على الموصل، أملاً أن يحتفظ بالسيادة العثمانية حتى لو كانت سيادة اسمية[١٥] .

لم يغير اعتراف علي رضا بسلطة يحيى باشا من موقف الأخير أو من موقف حليفه صفوك المناوئ للحكم العثماني ، فقد شرع صفوك بعملياته العسكرية ضد والي بغداد وكان واضحاً منذ البداية ان هذا التحرك كان بتشجيع من يحيى باشا الجليلي[١٦] .

وفي الوقت الذي اتجهت فيه قوات صفوك الى محاصرة بغداد وتهديد علي رضا اللاز والي بغداد كان الأخير يحاول التخفيف من شدة هذا التحدي بالاستعانة بقوة عشائرية أخرى ألا وهي عشائر عنزة مشجعاً إياها على الوقوف بوجه عشائر شمر ، وبهذا اشتبكت العشائر مع بعضها في نزاع عنيف حول بغداد ، مما منح الفرصة لوالي بغداد بعزل يحيى باشا عن ولاية الموصل[١٧] ،

فتنازل يحيى باشا الذي حرم من معونة صفوك عن منصب الولاية ، حيث تم استدعاء يحيى باشا الى استانبول ليعين عضواً في المجلس الاستشاري الذي تم استحداثه مؤخراً [١٨] .

اما إدارة ولاية الموصل – وكما سبقت الإشارة - فقد اختير محمد سعيد آل ياسين متسلماً لها . رغم إدراك الباب العالي بضعف هذا الشخص وعجزه عن مواجهة التحديات الخارجية – وتحديات الخطر الراوندوزي – إلا ان ذلك الإجراء لم يكن سوى إجراءً مؤقتاً ريثما يصل فرمان اختيار محمد اينجة بيرقدار والياً على الموصل وذلك ما تم عام ١٨٣٤[١٩] .

شكل عزل يحيى باشا الجليلي نهاية لأحدى القوى المحلية التي احتكرت حكم ولاية الموصل للفترة (١٧٢٦ -١٨٣٤) ، فقد عدت نهايتها امتداداً لسياسة السلطان العثماني محمود الثاني التي استهدفت القضاء على الحكومات المحلية في الإمبراطورية العثمانية وإحلال سلطة الدولة المركزية بدلاً منها .

تعيين محمد إينجة بيرقدار والياً على الموصل (١٨٣٤-١٨٤٣)

بعد إقصاء الحكم المحلي في الموصل وتعيين بيرقدار والياً عليها، بدأت صفحة جديدة في تاريخ هذه المدينة بالعودة نحو السياسة المركزية العثمانية .

اثبت بيرقدار كفاءته العسكرية في جميع الوظائف العسكرية التي كلف بها قبل عام ١٨٣٤ م اذ تذكر المصادر التاريخية اشتراكه في جيش إبراهيم باشا بن محمد علي والي مصر والتحاقه بعد ذلك بالجيش العثماني ومحاربته الجيش المصري وبناء على ما أظهره من شجاعة عين محافظاً للعلم (وهو من الرتب العسكرية المهمة التي كانت تمنح للأبطال الشجعان) فنال لقب (اينجه بيرقدار) وهذا ما دفع والي بغداد علي رضا باشا اللاز الى الطلب من الباب العالي ترشيح بيرقدار لولاية الموصل ذلك الاختيار الذي لقي ترحيباً من الباب العالي عندها وصل فرمان تعيين بيرقدار والياً على ولاية الموصل[٢٠] .

دخل بيرقدار الموصل وفي ذاكرته صورة الموقف السلبي للمتنفذين من زعماء المدينة - الأغوات - ويبدو ذلك واضحاً من حجم القوات العسكرية التي رافقته لدى دخوله المدينة والتي تكونت من (ثلاث) سرايا (بلوك) من العساكر النظامية وخمسمائة شخص من الضبطية (الهايتة) ومئة شخص من (الألبان) و ٢٠٠ شخص من (بني عقيل) الموالين للسلطة العثمانية المحلية[٢١].

وتشير المصادر المحلية إلى ماهية المهام التي أوكلت إلى بيرقدار والتي كانت تستند إلى مرتكزين أساسيين أولهما العمل على السيطرة على الأوضاع الداخلية ومعالجة المشاكل وتوطيد الحكم العثماني وثانيهما: بسط النفوذ العثماني على الإمارات الكردية في شمال العراق وتهيئته كقاعدة انطلاق باتجاه القوات المصرية إذا ما حاولت التوسع نحو الولايات العراقية[٢٢] والتي

وصفها لونكريك بأنها "قد وصلت إلى درجة من الضعف مكن الدولة العثمانية من القضاء عليها بسهولة"[٢٣].

ومن الجدير بالذكر أن تنفيذ هذين المرتكزين الرئيسين استغرق القسم الأكبر من فترة ولاية بيرقدار التي استمرت (١٨٣٤ -١٨٤٣) والتي يمكن إيجازها وعلى الشكل التالي:

١ـ سيطرته على الأوضاع الداخلية للموصل:

لم يكن الوضع داخل مدينة الموصل خلال هذه الفترة مستقراً فقد واجهت المدينة تحديات عديدة يقف في مقدمتها اندلاع إحدى الانتفاضات الشعبية المهمة وذلك عام ١٨٣٩ قادها شخص يدعى عبد الكريم سبتي بن محسن وهو من عشيرة البوحمد احد فرعي قبيلة الخزاعل وأنضم إليه عدد من أعيان المدينة الأمر الذي دفع والي بغداد علي رضا اللاز إلى تجهيز حملة عسكرية قدرتها المصادر بحوالي سبعة آلاف من العساكر، تولى بنفسه قيادتها لم يصل منهم إلى الموصل سوى خمسة آلاف مقاتل، اذ دار بينهم وبين أهالي الموصل قتال عنيف قتل فيه الكثير وبعد أن سيطرت القوات العثمانية على الوضع داخل المدينة بادرت إلى نفي سبعة علماء اتهموا بأنهم كانوا يراسلون إبراهيم باشا بن والي مصر محمد علي باشا[٢٤].

امتدت هذه الانتفاضة لتشمل محلات الموصل ومنها محلة المكاوي والتي كانت تضم عشائر عديدة منها الشهوان والبوحمد، كما أنها كانت مركزاً للفرقة (٢٧) الانكشارية المعروفة باسم (يكرمي يدي) المؤيدة لمصالح السكان، لذلك فمن المرجح أن يكون زعماء هذه العشائر من منتسبي الفرقة (٢٧) هم من تزعم الانتفاضة ونفذها[٢٥].

وفي محاولة من بيرقدار للتغطية على الانتفاضة عمد إلى فرض التجنيد الإلزامي (القرعة العسكرية) الذي لم يكن محض ترحيب من الأهالي بسب طول فترة الخدمة العسكرية وإرسال المجندين الى خارج المدينة[٢٦]. فأرسل إليهم أحد أعوانه ويدعى قاسم أفندي ليدعوهم إلى الطاعة ويقنعهم بالإذعان إلى القانون العسكري إلا أن الأهالي ثاروا عليه وقتلوه، مما أثار بيرقدار وعدها بمثابة إعلان التمرد على حكومته، لذلك قرر استخدام القوة لمعاقبتهم وإرضاخ الأهالي، ويقول أحد المؤرخين أنه أحضر عشرين مدفعاً صوبها نحو المدينة ثم أرسل إليها بعض الكتائب النظامية فدخلوها ونهبوا أسواقها وسفكوا دماء كثيرة، كما قام بنفي قسم من وجوهها إلى البصرة، وبذلك تمكن بيرقدار من إخضاع الأهالي على الرغم من أن ذلك كلف الموصل الكثير من الخسائر[٢٧].

٢ـ بسط النفوذ العثماني في شمال العراق

كانت الدولة العثمانية تراقب عن كثب الأوضاع الخطيرة في شمال العراق، وبالتالي تركت الصراع الأهلي والصراع القبلي بين الأمراء الأكراد يصل إلى أعلى درجاته بالاستيلاء على

ممتلكات بعضهم للبعض الآخر، وتأليب قبائل ضد أخرى، ثم كانت الخطوة التالية إذ تم إعداد خطة عسكرية للقضاء عليها لاسيما وأنهم لا يمثلون خطراً على الموصل والعراق فحسب، بل على مصالح الدولة العثمانية وخاصة إزاء تهديدات بلاد فارس في الشرق[٢٨] لذلك كان بيرقدار احد الشخصيات العثمانية التي كلفها الباب العالي بالحد من نفوذ بعض الأسر المحلية الكردية في شمال العراق والتي يمكن إيضاحها على الشكل التالي:

سياسته تجاه الإمارات الكردية:

١. محمد اينجه بيرقدار والإمارة السورانية[٢٩]:

كانت هذه الإمارة في مقدمة الإمارات الكردية التي تم تصفيتها وفقاً لسياسة السلطان محمود الثاني والقاضية بتصفية القواعد والإمارات المحلية وتحديداً خلال حكم (محمد بن مصطفى) والذي عرف باسم ميركور (الأمير الأعور)[٣٠] والذي تولى حكم راوندوز عام ١٨١٣. اذ استطاع أن يصبح خلال سنوات وحسب رأي بعض المصادر بـ(أشهر رجل في كردستان)[٣١]. وأن يجعل من إمارة سوران أقوى إمارة في كردستان اذ شكلت تهديداً للإمارات المحلية وخطراً بوجه الدولتين العثمانية والفارسية إلى الحد الذي استعان به والي بغداد داؤد باشا للوقوف بوجه أطماع الإمارة البابانية [٣٢] والتي كانت على علاقة سيئة بوالي بغداد .

وبعد تثبيت أسس حكمه في راوندوز، بدأ جهوده بتوسيع حدود إمارته وتوحيد ما يستطيع توحيده من كردستان ففي عام ١٨٣٢ استولى على أربيل وحرير والعمادية وجزيرة بن عمر[٣٣] بعد أن قتل من أهلها الكثير حتى اضطر والي بغداد علي رضا اللاز إلى الاعتراف بولايته نتيجة لقوته، كما عبر الأمير بقواته على نهر الزاب الأعلى عام ١٨٣٢ ثم عقرة ودهوك وزاخو والقرى القريبة من جزيرة بن عمر، كما هدد نصيبين وماردين[٣٤]. بعث بقواته إلى الموصل حيث فرض عليها الحصار لكنه لم يسيطر عليها[٣٥]. متحدياً بذلك والي بغداد والذي لم يكن قادراً على مواجهة محمد ميركور مخافة طلب الأخير المعونة من الشاه الفارسي الذي كان مستعداً لتقديم أية معونة يطلبها الأمراء الأكراد[٣٦].

فيما أشارت بعض المصادر عن اتفاق جرى توقيعه بين الأمير محمد وبين عدد من المماليك المعارضين لوالي بغداد والذين كانوا يطمعون إلى الاستيلاء على بغداد والبصرة وسائر العراق، بعد استيلائهم على الموصل، وأن هذه الحركة ليست جزئية، إنما هي حركة واسعة النطاق يحتاج القضاء عليها وصول الجيش العثماني[٣٧]. وأمام هذا التحدي اصدر الباب العالي أوامره بتجهيز حملة عسكرية أسندت قيادتها الى (رشيد باشا)[٣٨] والي سيواس والذي تدعمه قوات من الموصل وبغداد وديار بكر وسيواس وموشي وبدليس وارضروم[٣٩] . للقضاء على الإمارة السورانية وإنهاء حكم محمد ميركور . ومن جانبه كان السلطان العثماني محمود الثاني مهتماً بالحملة العسكرية حيث

أوعز الى والي بغداد علي رضا ووالي الموصل محمد اينجه بيرقدار للانضمام الى قوات رشيد باشا ، حيث استغرقت استعدادات تلك الجيوش عاماً كاملاً[٤٠] .

بدأ رشيد باشا هجماته على المناطق التابعة لإمارة سوران عام ١٨٣٦ بمهاجمة زاخو التي استولى عليها بعد أن حاصرها، ثم توجه نحو الموصل، وعندما علم محمد ميركور بذلك انسحب نحو راوندوز وأمر بتحصين المناطق التي كانت تقع في طريق الجيش العثماني، كانت المحطة التالية للجيش العثماني راوندوز التي حاصرها ثلاثة أشهر ثم احتلها، وعبر الزاب الكبير إذ انطلقت القوات العثمانية بعدها إلى سهل حرير، حيث انضمت إليها قوات والي بغداد بقيادة اللاز وكان الأخير قد استولى في طريقه على التون كوبري في ٨ تموز ١٨٣٦ وكذلك أربيل بعد حصار لها استمر ثلاثة أيام[٤١].

أما قوات والي الموصل محمد اينجة بيرقدار فقد كانت قد التحقت بالحملة الرئيسة [٤٢]. وعندما اقتربت القوات العثمانية من راوندوز بدأ أقارب الأمير محمد ومؤيدوه بالانفضاض من حوله، خاصة بعد وصول الفرمان السلطاني بعزل والي راوندوز[٤٣].

وبعد تطور الموقف العسكري وفي أعقاب الهزائم العسكرية التي مني بها الأمير محمد ميركور، لم يكن أمامه سوى الاستسلام لقوات السلطان العثماني على أمل أن يعيده مرة أخرى إلى السلطة[٤٤]. لاسيما وأن رشيد باشا قد أرسل إليه فرماناً همايونياً زائفاً بذلك عند ذلك قرر الأمير تسليم نفسه[٤٥].

استقبل الأمير محمد ميركور بالحفاوة والإكرام من قبل رشيد باشا الذي أخذه إلى استانبول ليواجه مصيره المجهول الذي اختلف المؤلفون في تحديده ولكن معظمهم يتفقون على أن الأمير قد قضى عليه بأمر من السلطان العثماني وهو في طريقه للرجوع إلى إمارته ومعه تفويض بحكم الإمارة وذلك عام ١٨٣٦[٤٦].

وفي الوقت الذي انسحبت فيه قوات والي بغداد من المدينة بقي والي الموصل محمد إينجة بيرقدار مع قواته في راوندوز لتنظيم إدارتها، خاصة بعد صدور الأوامر إلى القوات العثمانية بإيقاف تقدمها في عمق الأراضي الكردية، وتحديداً بعد وفاة القائد العثماني رشيد باشا عام ١٨٣٧ على أثر تفشي وباء الكوليرا [٤٧] في صفوف الجيش العثماني حيث صدرت الأوامر بإسناد قيادة الجيش العثماني إلى حافظ باشا[٤٨].

عد مقتل الأمير محمد ميركور النهاية الحقيقية للإمارة السورانية في راوندوز فعلى الرغم من تقلد العديد من الأمراء شؤون الإمارة ومحاولتهم إعادة ما كانت عليه الإمارة من قوة إلا أنهم فشلوا في ذلك بسبب وقوف ولاة بغداد ضد تلك التوجهات[٤٩].

٢.الإمارة البهدينانية[٥٠].

يعد إسماعيل باشا محمد طيار باشا (١٨٣٦-١٨٤٢)، واحداً من أهم أمراء بهدينان، وقد حاول الدفاع عن إمارته أمام أطماع أمراء الإمارة السورانية، إلا أن هذه الفترة تميزت باتخاذ الدولة العثمانية قرارها القاضي بالقضاء على الإمارات الكردية.

فبعد السيطرة على راوندوز وجهت الدولة العثمانية حملتها على العمادية وتتفاوت الآراء في تحديد اسم قائد الحملة المذكورة[٥١]. إلا أن أقرب تلك الآراء إلى الصحة ما ذكره لونكريك "وتولى في ١٨٣٨ أينجة بيرقدار إتمام العمل غير الكامل في كردستان...."[٥٢] مع تقديمه وصفاً للسياسة التي اتبعها تجاه الإمارات الكردية بأن "همه الوحيد هناك هو تحطيم الدويلات الكردية الصغيرة..."[٥٣] فقد هاجم محمد إينجة بيرقدار بهدينان عاصمة الإمارة، عندها أيقن الأمير إسماعيل بأنه لا يستطيع مقاومة تلك القوات عندها أتجه نحو جزيرة بن عمر عاصمة بوتان طالباً المساعدة من أميرها (بدر خان بك) لإعادته إلى الحكم[٥٤].

أما محمد إينجة بيرقدار فقد دخل العمادية بعد فرار أميرها إسماعيل اذ نظم شؤونها الإدارية عندما عين أحد وجهائها ويدعى (يوسف أغا الگيلي)، حاكماً عليها وعاد إلى الموصل[٥٥]. إلا أن غياب الأمير إسماعيل لم يدم طويلاً عن إمارته إذ سرعان ما عاد إلى العمادية وبدعوة من الأهالي فوصلها عام ١٨٤٢. وبغية إضفاء الشرعية على حكمه، دعى بيرقدار إلى الاعتراف بحكمه، إلا أن الحكومة العثمانية كانت قد قررت القضاء على الإمارات الكردية ومنها هذه الإمارة[٥٦].

وأمام هذه التحديات لم يكن أمام الأمير إسماعيل إلا الاستعداد لمواجهة الجيش العثماني والذي أسندت قيادته إلى محمد إينجة بيرقدار حيث دارت رحى معركة شديدة بالقرب من قرية إيتون والواقعة إلى الشرق من مدينة دهوك أضطر الأمير إسماعيل إلى الانسحاب والتحصن في العمادية. وبعد حصار دام أربعة أشهر أضطر الأخير إلى الاستسلام على أن يقبل بالشروط التي أملاها عليه بيرقدار[٥٧]. وهكذا دخلت القوات العثمانية العمادية أواخر عام ١٨٤٢ منهية حكم آخر أمراء بهدينان[٥٨].

٣.سياسته تجاه الطوائف (الغير المسلمة).

أ. الطوائف النصرانية:

على الرغم من الصلاحيات الواسعة التي تمتع بها ممثلوا الطوائف غير المسلمة في الموصل وغيرها من ولايات الدولة العثمانية إلا أن ذلك لم يكن كافياً لحل المشاكل التي كانت تنشب بين أبناء هذه الطوائف والتي كانت تستدعي التدخل المباشر من قبل السلطة العثمانية ممثلة بالوالي لحل تلك الخلافات والتي كان من شأنها أن تهدد بشكل أو بآخر حالة الأمن والاستقرار في هذا الجزء من أجزاء الدولة العثمانية.

ففي عام ١٨٣٩ تدخل الوالي محمد إينجة بيرقدار لحل الخلاف القائم بين أفراد الطائفة السريانية في دمشق وحلب وبغداد وديار بكر والموصل وماردين وجبل الطور[٥٩]. ولم تذكر الوثائق وعلى وجه التحديد سبب اختيار الباب العالي لشخصية بيرقدار للاضطلاع بهذه المهمة. إلا إننا نرجح أن هذا الاختيار إنما يعود بالدرجة الأساس إلى مدى قناعة السلطات العثمانية بقدرات هذا الوالي حتى توكل إليه مثل هكذا مهمة التي تتعدى حدود إدارته لتشمل مدناً أخرى عدا الموصل، إلا أن هذه المنازعات لم تجد طريقها إلى الحل، إذ سرعان ما تجددت عام ١٨٤٢ مما استدعى من السلطات العثمانية أن توجه أوامر أخرى تقتضي بالإسراع في معالجة هذه الخلافات[٦٠].

ولا يخفى الدور الذي اضطلعت به بعض الإرساليات التنصيرية وبعض الشخصيات الأجنبية في إذكاء الخلافات بين أواسط السكان من النصارى والذي أثار حفيظة بعض ولاة الموصل ومنهم محمد إينجة بيرقدار والذي لم تكن علاقته بالقنصلية البريطانية[٦١] في الموصل بالجيدة مما حتم على الوالي تقديم العديد من الطلبات إلى الباب العالي وللأعوام ١٨٤١ -١٨٤٢ طالباً فيها وضع النساطرة ومناطقهم تحت إشرافه وتخويله الصلاحية لإيقاف نشاطات بعض العناصر التنصيرية[٦٢].

ب. اليزيدية[٦٣]

كانت مشكلة اليزيدية في سنجار أهم ما لاقته الحكومة العثمانية خلال سيطرتها على العراق والتي دامت زهاء الأربعة قرون، خسرت الدولة تضحيات جسيمة في سبيلها إلا أنها لم تصل إلى حل لإنهاء هذه المشكلة[٦٤].

وفي غضون عودة الحكم المركزي إلى ولايات الدولة العثمانية ومنها الموصل، توسعت الأحداث في هذه المنطقة لاسيما بعد ازدياد اضطرابات الإمارات الكردية ومنها راوندوز بزعامة أميرها محمد ميركور - والتي سبقت الإشارة إليها - والذي وصل به الأمر أن يغزو سنجار عام ١٨٣٣[٦٥]. حيث قتل من اليزيدية أكثر من (١٥) ألف يزيدي مع أميرهم علي بك بعد أن طلب منه ميركور تغيير دينه فأبى، بالمقابل كان يزيديو سنجار مستمرين في أعمال السلب والنهب التي كانوا يمارسونها أثناء هجماتهم المتكررة على النواحي المجاورة ، الأمر الذي أحدث الفوضى والرعب بين الناس مما حدى بالسلطة العثمانية وقدر تعلق الأمر بالبحث - إلى إرسال حملتين لتأديبهم حيث أسندت قيادة الحملة إلى حافظ باشا وكان ذلك عام ١٨٣٦[٦٦]. أما الحملة الثانية فأسندت قيادتها إلى الصدر الأعظم رشيد باشا والتي كانت موجهة أصلاً إلى أمير راوندوز محمد ميركور اذ صدرت الأوامر إلى والي الموصل محمد إينجة بيرقدار ووالي بغداد علي رضا باشا اللاز بأن يكونا على

أهبة الاستعداد للتعاون مع رشيد باشا وأن يهتما بإعادة الأمن وفعلاً - وكما سبقت الإشارة - فقد جرى تصفية أمير راوندوز[٦٧] .

وفي عام ١٨٤٦ وجه بيرقدار حملة عسكرية إلى تلعفر وسنجار وتشير المصادر إلى الأعمال الوحشية التي ارتكبها هذا الوالي في تلعفر عندما حاصر قلعتها، وطلب من حاكمها السيد علي بن السيد أحمد الاستسلام دون أي قيد أو شرط[٦٨].

إلا أن الأخير رفض ذلك وتهيأ الطرفان للقتال اذ فرض بيرقدار حصاراً أستمر (١٥) يوماً[٦٩]، ولم يتمكن من اختراق القلعة لولا خيانة أحد الأشخاص ومن داخل القلعة والذي قام بفتح باب القلعة أمام قوات بيرقدار التي دخلت المدينة وألحقت بها القتل والدمار إلى الحد الذي قدرت فيه أحد المصادر عدد القتلى بـ (ثلثي سكان تلعفر) كما أمر بيرقدار بإزالة سور القلعة، ويذكر أحد الباحثين والمبالغة واضحة في كلامه "أن تلعفر أصبحت أكواماً من الخراب". أما المحطة الثانية للبيرقدار فكانت سنجار التي ما أن وصلها حتى فتك بأهلها فتكاً ذريعاً، وأخذ يقطع رؤوسهم ووضعها في غرائر وأرسلها إلى الموصل إظهاراً لحزمه وشدة بأسه وإرغاماً لسكانها[٧٠].

ـ جهود محمد إينجة بيرقدار الإصلاحية في الموصل

مثلما استطاع بيرقدار إثبات كفاءة ومقدرة في توطيد السلطة المركزية العثمانية في الموصل وبعض الإمارات الكردية في أيام السلطان محمود الثاني (١٨٠٨-١٨٣٩)، استطاع أيضاً إثبات مقدرته الإدارية والإصلاحية طوال فترة ولايته للموصل والتي استمرت خلال عهد السلطان عبد المجيد الأول (١٨٣٩-١٨٦١)، فما أن تولى السلطان عبد المجيد مقاليد السلطة حتى أصدر فرماناً أبقى بموجبه بيرقدار والياً على ولاية الموصل[٧١]. كما أرسل فرماناً آخر عهد فيه لعلي رضا اللاز بولاية (بغداد، وشهرزور، والبصرة)[٧٢] إعراباً منه عن تقديره لحسن قيام الواليين بمهام منصبهما في إدارة العراق، وفي الوقت نفسه صدر أمر سلطاني آخر تم بموجبه إلحاق لواء العمادية بالموصل بعد أن كان تابعاً لبغداد وذلك لقربه من الموصل[٧٣].

ولتنفيذ برنامجه الإصلاحي كان لابد لوالي الموصل من تأسيس حكومة قوية متنفذة في ولاية الموصل "مركزاً ولواحق"، وذلك من خلال تعيينه للموظفين الإداريين الأكفاء الذين كانوا تحت مراقبته المباشرة، وبغية تأمين الموارد المالية الكافية لتمويل مشروعه الإصلاحي، أعتمد بيرقدار على ضرائب متعددة كالمكوس والاعشار والمسقفات وضريبة الأغنام. فتكونت في خزينته مالية أعتمد عليها في دفع الرواتب لجنده وموظفيه[٧٤].

كان أول عمل إصلاحي أقدم على تنفيذه هو تعمير دار الحكومة والتي كانت تعرف بـ (القشلة)[٧٥] حيث ابتدأ العمل بها عام ١٨٤٢ ولغرض إنجاز مشروع بناء القشلة طلب الوالي من وجهاء الموصل وتجارها المساهمة في التبرع لإكمال هذا المشروع . اذ استعان بيرقدار بخبرة

احدى الشخصيات الألمانية (فون مولتكة) والذي صادف مروره بالموصل في تلك السنة ، حيث طلب منه بيرقدار وضع تصميم معماري لهذه الدائرة فتم له ما أراد . وقد كافئه بيرقدار على جهوده تلك بإهدائه ساعة ثمينة[٧٦] .

تم تقسيم البناء إلى قسمين: القشلة المدنية والقشلة العسكرية، إذ احتوت الأولى على دوائر الولاية ذات الصلة بأمور المجتمع المدني، أما القشلة العسكرية فكانت على شكل ثكنات للجيش حيث تم تصميمها وفق التصميم العسكري العثماني فهناك قسم لقوات الخيالة (السباهية) وأخرى لقسم المشاة (البيادة) مع وجود مكان للأرزاق والمؤن وأما القسم الآخر فكان بمثابة مستشفى (خستة خانة) والذي عد أول مستشفى عسكري تم افتتاحه في العراق وكان الغرض منه تأمين الخدمة الصحية للفرقة (١٢) من الجيش العثماني ومقرها الموصل ، ولا زالت هذه البناية موجودة لحد الآن[٧٧]. أما الطابق الثاني فقد تم تخصيصه لمبيت الوالي، فضلاً عن بناء جامع تقام فيه الصلوات التي كان يحضرها منتسبوا القشلة من العسكريين فضلاً عن الموظفين المدنيين وتجدد الإشارة إلى أن الانتهاء من بناء القشلة كان عام ١٨٤٢[٧٨].

شغل الجانب العسكري الحيز الأكبر من اهتمام بيرقدار إذ يعود إليه الفضل بإلغاء القوة المعروفة بـ (الهايتة)[٧٩]. وأحل محلها قوات (الدرك) والتي سبق لبيرقدار أن استقدمها عند وصوله إلى مدينة الموصل والتي شكلت نواة للجيش السادس[٨٠].

وفي عام ١٨٣٥ طبق بيرقدار - وفي الموصل - تحديداً قانون القرعة[٨١] أو ما يعرف بـ (التجنيد الإجباري)، وبذلك كانت الموصل قد سبقت باقي الولايات العثمانية في تطبيق هذا النظام - والذي سبقت الإشارة إليه في موضع سابق من البحث - كما أنشأ معملاً لصنع القنابر والمدافع والبارود أطلق عليها (الطوبخانة) والذي صنع ما يقارب الـ (١٨٠) مدفعاً[٨٢].

كان لبيرقدار اهتماماته المتميزة بشؤون الأوقاف ففي عام ١٨٣٩ أوقف ثلاثة مطاحن للحنطة، وقد أشارت الوقفية وحسب ما ذكرته إحدى المصادر إلى أنها كانت عائدة في الأصل إلى شخصين من الطائفة اليزيدية وهما بيرخدر وبير مراد، ولم تشر الوقفية إلى كيفية انتقال عائدية تلك المطاحن إلى الوالي محمد إينجة بيرقدار. كما أوقف عدداً من البساتين التي كانت عائدة إلى آل المحضر باشي وآل اليازجي وهم من كبار أعيان الموصل، حيث أشترى بيرقدار هذه الأراضي الزراعية وجعلها وقفاً لمسجد قام بإنشائه بعد أن أقر نظاماً لإدارة الوقفية ومن ثم تحويل ريعها إلى المسجد وذلك من خلال تحديد راتب شهري لإمام المسجد، فضلاً عن العاملين القائمين على توفير مستلزمات المسجد[٨٣].

من جانب آخر أولى بيرقدار اهتمامه بالنواحي الاجتماعية فعمل على الحد من الرذيلة، فكان يعاقب من يتعاطى الخمر ويقوم بارتكاب المحرمات، كما عمل على القضاء على ظاهرة التسول في الأسواق والأزقة وبدأ الناس في وقته يراعون الآداب الشرعية والعامة وذلك لتجنب

العقاب الذي يحدده الوالي الذي اشتهر بشدته وقسوته اللتين استطاع بهما أن يفرض النظام والانقياد للحكومة آنذاك[٨٤]. وكان من ضمن ما استحدثه بيرقدار في الموصل إنشاء (المنزل خانة) أي مربط الخيول المستخدمة في نقل المدافع والتجهيزات العسكرية[٨٥].

مما تقدم يتضح أن غالبية إصلاحات بيرقدار قد تركزت على الجوانب العسكرية أكثر من اهتمامه بالمرافق العلمية. وهذه مسألة طبيعية أمام جسامة التحديات التي كانت تمر بها الولايات العراقية وعلى وجه الخصوص ولاية الموصل، والتي دفعت الباب العالي إلى اختيار هذا الوالي وتكليفه بتوطيد الأمن في ولاية الموصل والمناطق المجاورة لها.

توفي بيرقدار عام ١٨٤٣ بعد حكم دام قرابة العشر سنوات بعد إصابته بمرض (الديزانتري) او الإسهال ، دفن في جامع النبي شيت[٨٦]. كما وتعاقب على حكم ولاية الموصل وللفترة (١٨٤٣-١٩١٨)، (٥٩) والياً لم يصل أي واحد منهم إلى درجة الكفاءة والمقدرة التي تمتع بها بيرقدار.

الخاتمة

مع تعيين محمد إينجة بيرقدار والياً على الموصل بدأت صفحة جديدة في تاريخ هذه المدينة وذلك على أثر العودة إلى نظام الإدارة المركزية والذي جرى تطبيقه في عهد السلطان محمود الثاني (١٨٠٨-١٨٣٩) بعد القضاء على الإمارة الجليلية في الموصل والتي استقلت بحكم هذه الولاية للفترة (١٧٢٦-١٨٣٤).

أمتاز حكم هذا الوالي بالشدة والصرامة وسياسة الفتك بالسكان وتذهب بعض المصادر أن هذه السياسة كانت مسألة طبيعة أمام جسامة المهام التي أوكلت إلى بيرقدار والتي تمثلت بمحورين رئيسين المحور الأول إكمال سياسة السلطان محمود الثاني بالقضاء على الإمارات الكردية وتحديداً السورانية والبهدينانية - أما المحور الثاني فهو توطيد الأمن والاستقرار في ولاية الموصل والتي عاشت آنذاك اضطراباً أمنياً والذي عزز موقف هذا الوالي هو المشاريع الإصلاحية التي نفذها في هذه الولاية والتي شكلت اللبنات الأولى للسياسة الإصلاحية العثمانية في العراق، فأليه يعود الفضل في إدخال نظام القرعة العسكرية، والذي لم يكن تنفيذه بالأمر السهل، إذ دفع أهالي الموصل خسائر بشرية كبيرة أمام صرامة هذا الوالي وإصراره على تنفيذ هذا النظام.

وبجهود من هذا الوالي جرى افتتاح أول مستشفى عسكري في الموصل والذي عدّ أول مستشفى في العراق والذي جرى تخصيصه لتأمين الخدمات الصحية الفرقة (١٢) المرتبطة بالجيش السادس الجيش والتي كان مقرها في الموصل، فضلاً عن مجموعة من الإنجازات والإصلاحات التي نفذها بيرقدار في الموصل وبذلك يعد بيرقدار من أوائل الولاة العثمانيين الذي وضع اللبنات الأولى للسياسة الإصلاحية العثمانية في العراق وبذلك سبق برنامجه الإصلاحي، البرنامج

الإصلاحي الذي نفذه والي بغداد مدحت باشا (١٨٦٩-١٨٧٢) في العراق بحوالي عقدين من الزمان.

الهوامش :

(١) نسبت هذه الأسرة إلى (عبد الجليل آغا) جد الأسرة الذي عمل في التجارة بين ديار بكر والموصل، ثم انتقل من ديار بكر واستقر في الموصل، وبغية إعطائه صورة تفصيلية حول بروز هذه الأسرة وتسلمها إدارة ولاية الموصل يراجع: عماد عبد السلام رؤوف، الموصل في العهد العثماني فترة الحكم المحلي (١١٣٩-١٢٤٩هـ/ ١٧٢٦-١٨٣٤م، مطبعة الآداب، (النجف الأشراف، ١٩٧٥).

(٢) تعرضت عدد من الولايات العراقية وعلى وجه الخصوص ولاية الموصل الى عدد من الحملات العسكرية التي قادها نادر شاه ضد الموصل وتحديداً في عامي ١٧٣٣ و ١٧٤٣ م . للاستزادة يراجع : سيار كوكب علي الجميل ، حصار الموصل الصراع الاقليمي واندحار نادر شاه ، (الموصل ، ١٩٩٠) ، ص ص ١٩٦ – ١٩٩ .

(٣) سيار كوكب علي الجميل، "الموصل خلال الحكم الجليلي (١١٣٩-١٢٤٩هـ)/ ١٧٢٦-١٨٣٤م"، موسوعة الموصل الحضارية، م٤، (الموصل، ١٩٩٢)، ص٣١.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) يراجع: رؤوف، المصدر السابق، ص١٨٢-١٨٨.

(٦) المصدر نفسه، ص١٨٤.

(٧) المصدر نفسه .

(٨) سيار كوكب علي الجميل ، زعماء وأفندية الباشوات العثمانيين والنهضويون العرب البنية التاريخية للعراق الحديث ، (الموصل نموذجاً) ، ط١ ، (عمان ، ١٩٩٩) ، ص٨٨ .

(٩) بيرسي كيمب، الموصل والمؤرخون الموصليون في العهد الجليلي ١٧٢٦ - ١٨٣٤م ، ترجمة محب احمد الجليلي وغانم العكيلي ، مراجعة صلاح سليم ، (مركز دراسات الموصل ، ٢٠٠٧) ، ص ١١٨ .

(١٠) محمد سعيد آل ياسين : من أهالي الموصل ، كان أحد المشاركين في انتفاضة ١٨٢٩ التي اندلعت في اثر مقتل والي الموصل عبد الرحمن الجليلي ، وكان على رأس الجناح العسكري : الجميل ، زعماء وأفندية ... ، ص ص ٨٦-٨٩ .

(١١) أرشيف رئاسة الوزراء ، الموصل وكركوك في الوثائق العثمانية ، ترجمة خليل علي مراد وعلي شاكر علي ، (الموصل ، ١٩٩٥) ، (نسخة خطية محفوظة في مركز دراسات الموصل) ، ص ١٠٢ .

(١٢) علي رضا باشا (اللاز) قوقازي الأصل وتحديداً من إمارة طرابزون الواقعة على البحر الأسود، تنقل في عدة وظائف من ضمنها ولاية حلب ثم ديار بكر ثم بغداد ثم شهرزور، اتصف بالكرم والسخاء. بيير دي فوصيل، الحياة في العراق منذ ١٨١٤ -١٩١٤، ترجمة أكرم فاضل، (بغداد، ١٩٦٨)، ص٩٢ وللإطلاع على أسباب اختيار الباب العالي لهذه الشخصية العسكرية لتنفيذ هذه المهمة ينظر: عبد العزيز سليمان نوار، تاريخ العراق الحديث من نهاية حكم داؤد باشا إلى نهاية حكم مدحت باشا. دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، (القاهرة، ١٩٦٨)، ص ص١٠٠ -١١١.

(١٣) سيأتي الحديث عن هذا التحدي لاحقاً .

(١٤) تقدم يحيى باشا الجليلي من حلب إلى الموصل في تموز ١٨٣٢ حيث أقام في حلب بعد عزله من ولاية ديار بكر، رؤوف، المصدر السابق، ص٢٠٢.

(١٥) كيمب ، المصدر السابق ، ص ١١٩ .

(١٦) رؤوف ، المصدر السابق ، ص ٢٠٥ .

(١٧) المصدر نفسه ، ص ٢٠٦ .

(١٨) كيمب ، المصدر السابق ، ص ١٢٠ .

(١٩) وثائق الأرشيف العثماني باستانبول ، رقم البحث ٢٣٩ ، دفتر مهمة ٢٥١ ، صفحة ٦١٥ والمؤرخة في أوائل شوال ١٢٥٠/١٨٣٤م " نسخة مصورة بحوزة الباحثة " ؛ نوار ، المصدر السابق ، ص ١٠٥ ، ص ١٦٤ .

(٢٠) أرشيف رئاسة الوزراء في اسطنبول ، رقم البحث ٢٤٥ ، دفتر مهمة ٢٥١ ، ص ٢٠٤ ، تاريخها أوائل شوال ١٢٥١ هـ/١٨٣٥م .

(٢١) البحث المختص بـ محمد باشا والي الموصل المعروف بـ (إينجة بيرقدار)، مترجم عن التركية من سالنامة الموصل لسنة ١٣٢٥ رومية/١٩٠٧م، نسخة خطية مصورة بحوزة الباحثة .

(٢٢) نوار، المصدر السابق، ص٨٥.

(٢٣) ستيفن همسلي لونكريك ، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ، ترجمة جعفر خياط ، ط٦ ، (بغداد ١٩٨٥) ص ٣٤٢ .

(٢٤) سجى قحطان محمد علي، الإدارة العثمانية في الموصل ١٨٣٤ -١٨٧٩، رسالة ماجستير، (غير منشورة)، كلية الآداب، (جامعة الموصل، ٢٠٠٢)، ص٣٦ .

(٢٥) المصدر نفسه.

(٢٦) نمير طه ياسين ، بدايات التحديث في العراق ، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، مقدمة الى معهد القائد المؤسس (سابقاً) ، (بغداد ، ١٩٨٤) ص ٥٧.

(٢٧) سليمان الصائغ، تاريخ الموصل، ج١، (مصر، ١٩٢٣)، ص٣١٢.

(٢٨) د. سيار كوكب علي الجميل "الموصل من نهاية الحكم الجليلي إلى الإدارة المباشرة (١٢٤٩ -١٢٨٦هـ/١٨٣٤ -١٨٦٩م)"، موسوعة الموصل الحضارية، م٤، (الموصل، ١٩٩٢)، ص٨٠..

(٢٩) ظهرت هذه الإمارة في القرن الثاني عشر الميلادي في منطقة راوندوز بجهود (كه لوي) من قرية هاويان وأتم أبنه عيسى جهوده في إخضاع المناطق المجاورة، حيث أتخذ من حرير عاصمة له، تولى حكم الإمارة من بعده ستة أمراء تميز حكمهم بالهدوء النسبي حتى تمكن الأمير سيدي بن الشاه علي بك عام ١٥٢٥م من إخضاع قلاع حرير والموصل وكركوك تحت سيطرته، كما أنه أعلن استقلال سوران للتفاصيل ينظر: كاميران عبد الصمد الدوسكي، كردستان في العهد العثماني في النصف الأول من القرن التاسع عشر، الدار العربية للموسوعات، (بيروت، ٢٠٠٧)، ص١٠٣.

(٣٠) صديق الدملوجي، إمارة بهدينان الكردية أو إمارة العمادية، (الموصل، ١٩٥٢)، ص ص٤٠ -٤٥؛ الصائغ ، المصدر السابق ، ص ٣٠٦ .

(٣١) الدوسكي، المصدر السابق ، ص١٠٥.

(٣٢) تعود بدايات هذه الأمارة الى أوائل القرن السادس عشر والى جهود الأمير بيربوداق الذي استطاع ان ينطلق من قرية (دارشمانة) في منطقة بشدر ومن السيطرة على المناطق المجاورة واهم ما يميز هذه الإمارة علاقاتها مع بلاد فارس اما نهاية هذه الإمارة فتعود الى جهود والي بغداد نامق باشا (١٨٤٩ -١٨٥١) والذي تمكن من إلغاء هذه الإمارة عام ١٨٥١ . للتفاصيل : نوار ، المصدر السابق ، ص ص ١١٢ -١٢٠ ؛ الدوسكي ، المصدر السابق ، ص ص ٩٨ -١٠٣ .

(٣٣) إحدى الجزر التابعة لإقليم الجزيرة تقع على نهر دجلة ضمن دياربكر.

(٣٤) نوار ، المصدر السابق ، ص ص ١٠٢ -١٠٣ .

(٣٥) الصائغ ، المصدر السابق ، ص ٣٠٩. فيما ذكرت مصادر أخرى أن متسلم الموصل آنذاك محمد سعيد آل ياسين أرسل إلى الأمير السوراني الهدايا محاولاً كسب وده فعقد

معه الصلح وبقي الوالي في ولايته، فيما تؤكد الوثائق المصرية أن جنود الأمير السوراني طالبوا الموصل بشيء من المال فأخذوه. العراق في وثائق محمد علي، دراسة وتحقيق ، د. عماد عبد السلام رؤوف ، (بغداد ، ١٩٩٩) ، رقم الوثيقة ٤٨، ص٧٢.

(٣٦) للاستزادة يراجع : نوار، المصدر السابق، ص١٠٢.

(٣٧) سعدي عثمان هروتي، كوردستان والإمبراطورية العثمانية دراسة في تطور الهيمنة العثمانية في كوردستان ١٥١٤ -١٨٥١م، ط١، (دهوك، ٢٠٠٨)، ص١٩٧.

(٣٨) رشيد باشا : كرجي الأصل ، تولى الصدارة العظمى (١٨٢٩ -١٨٣٢) ، قاد الجيوش العثمانية في معركة قونية عام ١٨٣٢ واسر على أيدي الجيش المصري ثم أطلق سراحه حيث نحي عن الصدارة العظمى ، اختير والياً لسيواس عام ١٨٣٤ م . الدوسكي، المصدر السابق ، ص ١٥٧ .

(٣٩) المصدر نفسه ، ص ١٠٧ .

(٤٠) بينما تذكر مصادر أخرى أن اللاز أرسل ارتالاً من الجند ولم يحضر هو بنفسه لانشغاله بقمع انتفاضة عشيرة العقيل التي اندلعت في نهاية عام ١٨٣٤، عبد الفتاح علي يحيى، "الهجوم العثمانيي على كردستان وسقوط إمارة سوران"، مجلة كاروان، أربيل، ع٥٢، ١٩٨٧، ص١٣٩.

(٤١) محمد أمين زكي، خلاصة تاريخ الكرد وكردستان، ترجمة محمد علي عوني، (القاهرة، ١٩٦١)، ص٢٤٦.

(٤٢) المصدر نفسه.

(٤٣) محمود الدرة، القضية الكردية، (بيروت، ١٩٦٦)، ص٨٧.

(٤٤) علي، المصدر السابق، ص ٣٤.

(٤٥) فيما تذكر مصادر أخرى الدور الذي لعبته كل من بريطانيا وبلاد فارس في إنهاء حكم محمد ميركور لمزيد من التفاصيل حول الدور الذي اضطلعت به كل من بريطانيا، بلاد فارس يراجع: الدوسكي، المصدر السابق، ص ص١٤٣ -١٤٦.

(٤٦) الصائغ، المصدر السابق، ص٣١٣. حيث تذكر المصادر أن ميركور اغتيل في طريق العودة في سيواس او طرابزون، الدوسكي، المصدر السابق، ص١٠٨.

(٤٧) زكي، المصدر السابق، ص٢٤٦.

(٤٨) حافظ باشا : وهو من الشركس تم شرائه وتدريبه على تنفيذ الأعمال والأوامر وكان يعرف شيئاً من العربية والفارسية وملماً بتاريخ الكرد. الدوسكي، المصدر السابق، ص ١٥٩ .

(٤٩) المصدر نفسه ، ص ص ١٠٨-١٠٩ .

(٥٠) وهي إمارة اتخذت من العمادية (ئاميدي) عاصمة لها وكانت في حالة صراع مع الجليليين لأسباب إقليمية واقتصادية من أبرزها التنافس على منطقة الشيخان التي يتنشر فيها اليزيديون وقد ازدادت حدة الصراع الإقليمي بين مركز الموصل وتوابع العمادية إبان ضعف الدولة العثمانية فازدادت الفوضى كثيراً وعم الإضراب الاقتصادي بسبب تقطع المواصلاتــ للاستزادة يراجع: الجميل، " الموصل من نهاية... "، ص ص٧٩-٨٠.

(٥١) يذهب البعض إلى أن رشيد باشا حاصر هذه القلعة بعد عودته من راوندوز حيث سيطر عليها وبذلك قضى على الإمارة البهدينانية، وهناك من يرى أن والي بغداد علي رضا اللاز هو الذي حاصر العمادية عام ١٨٣٧ وتمكن من احتلالها وأسر حاكمها إسماعيل وأخذه إلى بغداد، إلا أنه بسبب ظروف الدولة العثمانية وانشغالها بحروبها مع محمد علي باشا والي مصر لم تستطع تطبيق الحكم المباشر حينذاك. عبد الفتاح علي يحيى، ا"لملا يحيى الميرزوي وسقوط إمارة بادينان"، مجلة كاروان، العدد (٤٣)، القسم (٣) ، نيسان، ١٩٨٦، ص١٤٩ وما بعدها.

(٥٢) لونكريك، المصدر السابق، ص٣٤٤.

(٥٣) المصدر نفسه، ص٣٤٠.

(٥٤) يأتي طلب الأمير المساعدة من أمير بوتان استناداً إلى الاتفاقية التي وقعها مجموعة من الأمراء والرؤساء الكرد والتي حملت اسم (الحلف المقدس) الذي ترأسه أمير بوتان للمزيد عن مضامين هذا الحلف وأهدافه يراجع : صلاح هروري ، إمارة بوتان في عهد الأمير بدر خان ١٨٢١-١٨٤٧ "دراسة تاريخية، (دهوك، ٢٠٠٠)، ص ص٧٤-٧٦.

(٥٥) محفوظ العباسي، إمارة بهدينان العباسية ، مطبعة الجمهورية، (الموصل، ١٩٦٩)، ص٨. وتذكر مصادر أخرى أن محمد إينجة بيرقدار وأثناء رجوعه إلى الموصل ارتكب مجزرة بحق أمراء الشيخان وأعوانهم "سياتي التطرق إليها ضمن سياق سياسة محمد إينجة تجاه العشائر اليزيدية.

(٥٦) العباسي ، المصدر السابق ، ص ١٠٨ .

(٥٧) تضمنت هذه الشروط تسليم الأمير إسماعيل نفسه إلى الجيش العثماني، وأن يتوسط بيرقدار لدى الباب العالي بإسناد منصب إحدى الولايات إليه . أنور المائي ، الأكراد في بهدينان " بحث تاريخي اجتماعي عن منشأ الأكراد وعقائده ووظائفهم وآدابهم ، ط٢ ، (دهوك ، ١٩٩٩) ، ص ص ١٥٣-١٥٤.

(٥٨) المصدر نفسه ، ص ١٥٤ .

(٥٩) أرشيف رئاسة الوزراء باستانبول، رقم البحث ٢٠٣، دفتر مهمة ٢٥٤، صفحة ٣٥-٣٦، تاريخ الوثيقة أوائل رجب ١٢٥٥هـ/ ١٨٣٩م.

(٦٠) المصدر نفسه، رقم البحث ٢٥٥، دفتر مهمة ٢٥٥، صفحة ٣٥، تاريخ الوثيقة أوائل ذي القعدة ١٢٥٨هـ/١٨٤٢م.

(٦١) كانت بريطانيا قد افتتحت أول وكالة أجنبية في الموصل عام ١٨٣٩ حيث أسندت مهامها إلى كريستيان انتوني رسام لمزيد من التفاصيل حول التمثيل الأجنبي في ولاية الموصل راجع: محمد داخل كريم السعدي، المصالح الأجنبية في الموصل (١٨٣٧-١٩١٤)، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية التربية، (جامعة الموصل، ١٩٩٩).

(٦٢) كان من ضمن تلك الجهود تصدي بيرقدار لجهود المنصر الأمريكي كرانت لبناء إحدى القلاع والتي كانت سبباً في حدوث مشاكل ومصادمات دموية بين الأكراد والنساطرة . لمزيد من التفاصيل حول الموضوع ينظر: عبد العزيز سليمان نوار "آثار العراق والصراع الاستعماري في القرن التاسع عشر" مجلة الهلال، شباط، ١٩٦٥، ص١٤٠.

(٦٣) هناك العديد من المصادر التاريخية التي تخصصت بدراسة اليزيدية، أصولهم، معتقداتهم الدينية، موقف الدولة العثمانية تجاه هذه الأقلية. نذكر منهم، صديق الدملوجي، اليزيدية، (الموصل، ١٩٤٩); عبد الرزاق الحسني، اليزيديون في حاضرهم وماضيهم، ط١، (بغداد، ١٩٨٤).

(٦٤) ينقسم اليزيدية إلى قبائل عديدة منها المستقلة التي يحكمها أمير مستبد بحكمها ومنها الخاضعة للأمير الأعظم. منها قبائل الشيخان والروبنشتية والدناندية والقايرية وباعذرى والشيخ عادي وبحزاني وعين سفني. ينظر: غسان وليد مصطفى الجوادي، أحوال الموصل الاقتصادية ١٨٣٤-١٩١٨، دراسة تاريخية، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية التربية، (جامعة الموصل، ٢٠٠٦)، ص١٧.

(٦٥) دبليو ويكرام، مهد البشرية أو الحياة في شرق كردستان، ترجمة: جرجيس فتح الله، (بغداد، ١٩٧١)، ص١٠.

(٦٦) علي، المصدر السابق، ص٢٠١.

(٦٧) زكي ، المصدر السابق ، ص ٢٤٦ ؛ الدوسكي ، المصدر السابق ، ص ص ١٤٧ - ١٥٠.

(٦٨) حسن ويس يعقوب مصطفى، سنجار في العهد العثماني دراسة سياسية، إدارية، اقتصادية، (١٨٣٤-١٩١٨)، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الآداب (جامعة الموصل، ٢٠٠٠)، ص٢٧.

(٦٩) البحث المختص بـــ محمد باشا والي الموصل، المصدر السابق.

(٧٠) مصطفى، المصدر السابق، ص ص٢٧ -٢٨.

(٧١) أرشيف رئاسة الوزراء باستانبول، المصدر السابق، رقم البحث ١٩٦، دفتر مهمـــة٢٥٣، صفحة ٩١، تاريخ الوثيقة أواخر ربيع الآخرة ١٢٥٥هـــ/١٨٣٩م.

(٧٢) المصدر نفسه، رقم البحث ١٩٨، دفتر مهمة٢٥٣، صفحة١٠٢، تاريخ الوثيقـــة أواســـط جمادي الأولى ١٢٥٥هـــ/١٨٣٩م.

(٧٣) المصدر نفسه، رقم البحث ١٩٧، دفتر مهمة٢٥٣، صفحة١٠١، تاريخ الوثيقـــة أواســـط جمادي الأولى ١٢٥٥هـــ/١٨٣٩م.

(٧٤) علي، المصدر السابق، ص٤٤.

(٧٥) قشلة أو قشلات: لفظ تركي (kisla) ومعناها المبنى الكبير المخصص لإيواء الجند، سعيد الديوه جي بحث في تراث الموصل، "دراسة في المصادر التاريخية لتراث وخطط مدينة الموصل، (الموصل، ١٩٨٢)، ص١٣٧.

(٧٦) ذنون يونس الطائي، "خطط الموصل في العهد العثماني"، بحث منشور في ندوة الموصل في مدونات الرحالة، مركز دراسات الموصـــل، (الموصـــل، ١٩٩٧) ؛ الـــديوه جـــي، المصدر السابق، ص١٣٨.

(٧٧) البحث المختص لمحمد باشا والي الموصل ، المصدر السابق .

(٧٨) الديوه جي، المصدر السابق، ص١٣٨.

(٧٩) مصطلح يعني المرتزقة.

(٨٠) تكون الجيش العثماني قبل ذلك من خمسة فيالق، تألف الفيلق الأول من (جنود الخاصـــة) ومقره استانبول، والجيش الثاني جيش السعادة ومقره أدرنة ثـــم جـــيش الروملـــي فـــي مناستر، وجيش الأناضول ومقره أرزنجان، والجيش الخامس في سوريا ويعرف باســـم عربستان، وفي عام ١٨٤٨م أصدرت الدولة العثمانية أوامرها بتشكيل الجيش الـــسادس وفيلق العراق والحجاز والذي ارتبطت إدارته مباشـــرة بنظـــاره الحربيـــة. العـــزاوي، المصدر السابق، ج٧، ص٩٧؛ ساطع الحصري، البلاد العربية والدولة العثمانيـــة، دار العلم للملايين (بيروت، ١٩٦٠)، ص٢٥.

(٨١) كان التجنيد في الولايات العثمانية يتم وفق أسلوب القرعة الشرعية والذي كان يجري في كل ولاية وبحضور الوالي والمشير (القائد العسكري للجيش)، والمفتي والأعيان وعلماء الدين والوجهاء وبعد قراءة مرسوم القرعة، يعقد "مجلس القرعـــة" ويحـــضر الأفـــراد المكلفون لهذا النظام وممن بلغوا سنة الخدمة العسكرية إلى المجلس، حيث تجري القرعة

ثم يوزع المشمولون على الأولوية التي نسبوا إليها حتى يتدربوا في معسكرات الجيش، عبد العزيز محمد عوض، الإدارة العثمانية في ولاية سورية ١٨٦٤-١٩١٤، دار المعارف (مصر، ١٩٦٩)، ص١٤٦.

(٨٢) البحث المختص بـ محمد باشا والي الموصل... ، المصدر السابق.

(٨٣) عروبة جميل محمود عثمان، الحياة الاجتماعية في الموصل ١٨٣٤-١٩١٨م، أطروحة دكتوراه (غير منشورة)، كلية الآداب، (جامعة الموصل، ٢٠٠٦)، ص١٥٨.

(٨٤) علي، المصدر السابق، ص٤٦.

(٨٥) البحث المختص بـ محمد باشا والي الموصل...، المصدر السابق.

(٨٦) العزاوي، المصدر السابق، ج٧، ص٧١.

This document was created with Win2PDF available at http://www.daneprairie.com.
The unregistered version of Win2PDF is for evaluation or non-commercial use only.